

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### الدرس السادس عشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين:-

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً نافعاً، اللهم اغفر لنا ولشيخنا أجمعين

قال المصنف الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - تعالى في كتابه [كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد] قال:

باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقوله تعالى: (وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ \* وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ) (٣٩) الآية. وقوله: (فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ) (٤٠) الآية. وقوله: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) (٤١) الآيتان. وقوله: (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) (٤٣). (الآية)

وروي الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: (إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله - عز وجل -).

[الشرح]: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين أما بعد:-

فقد قال الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - تعالى:

◆ باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره،

باب من الشرك قصد الشيخ - رحمه الله - ذكر نوع من أنواع الشرك وذلك النوع هو الاستغاثة بغير الله ودعاء غيره

فإن هذه الترجمة دلت على أمر مركب من قضيتين:

- أن يستغيث بغير الله

- أو يدعو غيره

◊ و مناسبة هذه الترجمة لكتاب التوحيد ظاهرة:

إذا أن الاستغاثة بغير الله ودعاء غير الله من الشرك المنافي للتوحيد

ولكن ما الفرق بين الاستغاثة والدعاء؟

الاستغاثة؛ هي طلب الغوث، كما نقول في الاستعاذة هي طلب العون، نقول في الاستعانة هي طلب العون،  
الاستغاثة هي طلب الغوث

و الدعاء؟ الدعاء هو الطلب - أيضا - فبين الاستغاثة والدعاء اشتراك والدعاء أعم من الاستغاثة لأن الاستغاثة  
دعاء مع كرب الاستغاثة لا تكون إلا مع كرب فإنها يستغيث المكروب،

وأما الدعاء فإنها يشمل الاستغاثة والاستعانة وسائر أنواع المطالب، كأن هذا من عطف العام على الخاص هذا من  
عطف العام على الخاص

وعطف العام على الخاص وعطف الخاص على العام موجود فإذا قلت جاء الطلبة ومحمد فهذا من عطف الخاص  
على العام، وإذا قلت جاء محمد والطلبة فهذا من عطف العام على الخاص لأن محمد أحد الطلبة

واعلموا - يا رعاكم الله - أن هذا الباب من أشرف أبواب هذا الكتاب لتعلقه بمسألة عظيمة هي لب التوحيد ألا  
وهي الدعاء فإن الدعاء كما جاء في الحديث الصحيح الدعاء هو العبادة ولأجل ذا ساق الشيخ - رحمه الله - في هذا  
الباب من الأدلة البيّنات ما تقطع وتمحق دابر المشركين الذين يدعون غير الله تعالى

فقد استدل أو لا بقول الله تعالى: { ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين }

إن أجلى صور الشرك وأبينها هو دعاء غير الله وهو الذي وقع به عامة بني آدم فإذا طلبوا شيئا نادوا ملكا أو جنيا  
أو ميتا أو غائبا أو غير ذلك وانصرفوا عن الله - عز وجل - وهم بذلك يصرفون أشرف أنواع العبادة لغير الله -  
سبحانه وتعالى - إن الدعاء - يا رعاكم الله - هو عنوان العبودية هو حقيقة التوحيد ولهذا قال ربنا سبحانه  
وبحمده: { وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي } لم يقل إن الذين يستكبرون عن

دعائي فدل ذلك على أن الدعاء هو العبادة تأملوا { وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين } فدل ذلك على أن الدعاء هو العبادة، هو لب العبادة هو حقيقتها ومما رواه الترمذي - أيضا - الدعاء مخ العبادة لكن فيه مقال والأحاديث والآيات في هذا كثيرة

◆ فالأية الأولى التي ساقها المصنف - رحمه الله - قول الله تعالى { ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك }

{:-

الخطاب موجه للنبي ﷺ وللأمة من بعده

من دون الله يعني سوى الله

ما لا ينفعك ولا يضرك في هذا إشارة إلى أنه لا يجوز للإنسان أن يدعو غير الله في جلب منفعة أو دفع مضرة لأن الإنسان إنما يدعو إما لتحصيل مطلوب أو لدفع مكروب فلاجل ذا نص الله - سبحانه وتعالى - على هاتين القضيتين فقال: { ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك }،

وقد تضمن ذلك نفي التعلق بغير الله تعالى لأن هذا المدعو إذا كان لا يملك النفع والضرر فما قيمة دعائه! لا فائدة ولا معول عليه ما لا ينفعك ولا يضرك يعني ما لا ينفعك إن دعوته وما لا يضرك إن تركته فوجوده وعدمه سواء فليس من الشرعي ولا من العقلي أن يدعو غير الله - عز وجل - قال فإن فعلت وهذا من باب ضرب الاحتمالات وإلا فحاشى نبينا ﷺ أن يقع منه ذلك

فإن فعلت أي دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت:

فإنك إذا من الظالمين، أي الظلمين؟ الظلم الأكبر أم الظلم الأصغر؟ الأكبر

{ إن الشرك لظلم عظيم }، فهذه الآية العظيمة تنبيه للنبي ﷺ، ولمن بعده من أمته من بعده، وللناس جميعا إلى وجوب إفراد الله تعالى بالدعاء، وأن من دعا غير الله - عز وجل - في جلب منفعة أو دفع مضرة فقد وقع في الشرك الأعظم الذي لا يغفره الله تعالى فمناسبتها للباب ظاهرة

◆ و نستفيد من هذه الآية العظيمة:-

- أن دعاء غير الله شرك أكبر؛ أن دعاء غير الله ظلم أكبر

- ونستفيد منها - أيضا - سلب القدرة عن كل مدعو سوى الله - عز وجل - فهي لا تنفع ولا تضر

◆ ثم ثنى المصنف - رحمه الله - بقول الله تعالى { وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو } :-

كما تعودنا إن ماذا؟ شرطية فينبغي أن تكون النكرة في سياقها دالة على العموم،

وإن يمسسك الله بضر يعني أدنى ضرر أي ضرر فلا كاشف له إلا هو ما أعظم وقع هذه الآية على نفوس المبطلين ! من ابتلي بضرء ثم قرع سمعه قول الله تعالى: { وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو } وحد الوجهة توجه إلى الله وحده علم أن كل أحد سوى الله لا يملك أن يكشف عنه الضر واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك

ثم جملة رديفة، وإن يردك بخير فلا راد لفضله إذا أَرادك الله بخير وقضى لك وقدر خيرا فلا يمكن لأحد كائنا ما كان أن يحول بينك وبينه ولو اجتمع من بأقطارها، كما قال نبينا ﷺ - أيضا - لابن عباس (( واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك رفعت الأقلام وجفت الصحف ))

هاتان الجملتان وردتا في سورتين في سورة الأنعام وفي سورة يونس لكنها في سورة يونس يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم - طيب -

إذا هذه الآية آية عظيمة دالة على وجوب إفراد الله تعالى بالدعاء لأن الحامل على الدعاء إما وقوع ضرر يدعو الإنسان برفعه أو طلب خير يسعى لتحصيله فهذا لا يطلب إلا من الله - عز وجل - وحده ولا يطلب من سواه

◆ فمناسبتها للباب ظاهرة

- فدللت هذه الآية العظيمة على وجوب إفراد الله تعالى بالدعاء،
- ودلت على بطلان دعاء غير الله وأنه أعجز من أن يحقق المطلوب،
- ودلت على إثبات المشيئة والإرادة لله - سبحانه وتعالى - فإنه قال وإن يردك

وأيهما أعم في نظركم؟ الإرادة أم المشيئة؟ إرادة الله تعالى تنقسم إلى قسمين؛ إرادة كونية وهي المشيئة، وإرادة شرعية وهي المحبة إذا الإرادة أعم من المشيئة إرادة الله تعالى تنقسم إلى قسمين إرادة كونية وهي المشيئة فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون وإرادة شرعية كقول الله تعالى: { يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر }

ومع ذلك فإن من الناس من يغشى العسر ويدع اليسر مع أن الله أراد بشره بهم اليسر - ثم إن في هذه الآية في سورة يونس إثبات اسمين من أسماء الله تعالى متضمنين لصفيتين كريمتين ما الاسمان؟ الغفور الرحيم، والغفور دال على اتصاف الله بصفة المغفرة وهي الستر والتجاوز، والرحيم دال على اتصاف الله تعالى بصفة الرحمة وهي صفة حقيقية لائقة به تعالى

ثم ثلث الشيخ - رحمه الله - تعالى بقول الله تعالى فيما ساق من الآيات في قصة إبراهيم في سورة العنكبوت { فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون } :-

( فابتغوا ) أي اطلبوا عند الله الرزق لاحظوا أنه قدم الظرف عند الله لكي يدل على اختصاص الله تعالى به فابتغوا عند الله وذلك أن الله - سبحانه وتعالى - هو الرزاق وحده لا رازق سواه إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، والرزق - أيها الإخوان - حاجة بشرية يسعى إليها الناس جميعا فاحتاج الأمر إلى تنبيههم إلى أن الرزق إنما يطلب من الله ليس فلان هو الذي يسوق إليك الرزق و ليس فلان هو الذي يقطع رزقك كما يعبر بعض الناس يقول فلان قطع رزقه إنما الرزق بيد الله فابتغوا عند الله الرزق

- قال ( واعبدوه ) هذا من عطف العام على الخاص لأن ابتغاء الرزق يعني طلب من الله ودعاء له واعبدوه العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة إذا فاعبدوه يعني كونوا مخلصين له في العبادة

- ثم قال ( واشكروا له ) اشكروا له أي كونوا معترفين بنعمته مثنين بها عليه لأن كثيرا من الناس يغفل عن الشكر لهذا قال ربنا سبحانه ( وقليل من عبادي الشكور ) ، وقال مثنيا على نبي من أنبياءه ( إنه كان عبدا شكورا ) ، ولعلكم يعني تدركون أن كثيرا من الناس ربما يحقق عبادة الصبر يتلى فيصبر ويحتسب لكن ما أقل من يحقق عبادة الشكر فإذا كانت الأمور طبيعية والرزق واسع والصحة بادية يغفل كثير من الناس عن شكر المنعم وإذا تغير الحال

أقبلوا على الله بكليتهم ودعوا الله تعالى فهذا كان الشكر عبادة جليلة وقد اختلف العلماء أيهما أفضل الصبر أم الشكر؟ حتى إن ابن القيم عليه رحمة الله ألف في ذلك كتابا ما اسمه؟ (عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين) هذا الكتاب يتضمن المفاضلة بين الصابر والشاكر وخلص - رحمه الله - إلى أن المفاضلة بينهما ليست قطعية بأن يقال دوما بأن الصابر أفضل من الشاكر أو الشاكر أفضل من الصابر وإنما يختلفوا باختلاف الأحوال ولكن في الأعم الأغلب عبادة الشكر قليلة في الناس كما قال ربنا: {اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور}

- قال ( فاطلبوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له ) ثم اعلموا - أيضا أيها الإخوان وأيتها الأخوات - أن الشكر يكون بالقلب وباللسان وبالجوارح كما قال الناظم:  
أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

(١) فيشكر العبد ربه بقلبه: بأن يقوم في قلبه الاعتراف والإقرار لله بالنعمة والاعتباط بها فهذه وظيفة القلب  
(٢) ثم وظيفة اللسان بالثناء بها على الله فيتكلم في مجالسه بذلك ويلهج لسانه بالثناء بالنعمة على مسديها،  
(٣) وبجوارحه فيسخر هذه الجوارح في مرضيه بهذا تتحقق عبادة الشكر، وحينما نقول تتحقق لا نعني أنها تستوفي فإنه لا يستطيع أحد أن يكافئ نعمة الله - عز وجل - وقد قال القائل:

"إذا كان شكري نعمة الله نعمة علي له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر والشكر نعمة ولو طالت الأيام واتصل العمر"

يعني لو أن إنسان اشتغل بشكر نعم الله تعالى لكان توفيقه لشكر النعمة نعمة جديدة تحتاج إلى شكر ثم إذا شكر هذه النعمة الجديدة كان هذا نعمة - أيضا - تحتاج إلى شكر فأني له أن يبلغ شكر المنعم ولو طالت الأيام واتصل العمر

- قال ( واشكروا له إليه ترجعون ) أي إليه مآلكم يوم القيامة فيجازيكم عن أعمالكم إن خيرا فخير وإن شرا فشر

◆ فهذه الآية العظيمة التي ذكرها الله تعالى في سياق كلام إبراهيم عليه السلام مناسبة - أيضا - للترجمة ودلت

على:

- وجوب أفراد الله تعالى بالدعاء،
- ووجوب أفراد الله بطلب الرزق أن يطلب الرزق من الله فلا يقول يا فلان ارزقني بل يطلب الرزق من الله ولا يعارض ذلك أن يعمل عند فلان أو أن يكون أجيرا عند فلان لكن يكون طلبه القلبي للرزق من الله تعالى فيقول يا رزاق ارزقني،

- و- أيضا - دلت على وجوب أفراد الله بجميع أنواع العبادة لقوله واعبدوه،
- ودلت على وجوب شكر الله واشكروا له،
- ودلت على إثبات البعث من أين؟ إليه ترجعون ولعلكم تلاحظون يا رعاكم الله كيف يكثر الله تعالى من التذكير باليوم الآخر إثر الأوامر والنواهي لأن هذا من أعظم الدوافع للاستجابة والامتثال فإن العبد إذا ذكر أن من وراءه يوم آخر يجازى على إحسانه ويعاقب على معصيته حفظه هذا على الطاعة وزجره عن المعصية .

◆ ثم قال المصنف - رحمه الله - تعالى وقوله: { ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم

القيامة وهم عن دعائهم غافلون } :-

(من أضل) أي لا أحد أضل استفهام للنفي الاستفهام الذي جوابه لا استفهام للنفي ومن أضل أي لا أحد أضل، ومعنى أضل من الضلال، وهو التيه، والضياع ما أحد أضيع من هذا المذكور،

ومن أضل ممن يدعو من دون الله يعني سوى الله

من لا يستجيب له إلى يوم القيامة ينصب وجهه إلى حجر أو شجر أو قبر ويدعوه ويدعوه وهو لو ظل يدعوه إلى يوم القيامة لم يستجب له ولم يسمع منه ولم يحقق طلبته وهذا ينطبق على الذين يعبدون الأشجار والأحجار والأبقار والموتى والصالحين والغائبين كل هؤلاء في ضلال مبين لأنهم يدعون من لا يستجيب لهم إلى يوم القيامة

- قال - سبحانه وتعالى - {وهم عن دعائهم غافلون} :-

وهم ما مرجع الضمير؟ إلى المدعويين يعني وهم أي المدعوون عن دعائهم وهم عن دعائهم غافلون يعني لو قدرنا أن المدعو - دعك من الشجر والحجر - يعني لو قدرنا أنه صالحا ميتا أو غائبا غافلون لا يعلمون عنهم في حالا لا يستجيبون فيها ولا يسمعون (وما أنت بمسمع من في القبور) (وهم عن دعائهم غافلون) لا يشعرون بهذا الدعاء فهم مشغولون بحالهم ثم ولهذا هذا التصوير فيه تنكير بالغ من هذا الحال إذ كيف يليق بآدمي عاقل وإنسان كامل أن يخاطب من لا يستجيب له أرايتم لو أن واحد قام إلى أحد هذه الأعمدة وأخذ يخاطبه ويتحدث معه لكان مضحكة لكان سبة لنا أجمعين كيف تخاطب جدار؟ فكذلك هؤلاء الذين يسألون تحقيق دعواتهم من هذه الأصنام والأموال لا يهتمون عن هذا بشئ فهم أهل للسبة والسخرية

- ثم قال الله تعالى: { وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء } :-

( إذا حشر الناس ) أي يوم القيامة والحشر هو الجمع هو الجمع الحشر لغة الجمع كانوا لهم أعداء أي كان أولئك المدعون وتلك الآلهة المزعومة أعداء لهؤلاء الداعين لا يحفظون لهم هذا الصنيع ويقولون قد عظمتونا وأكرمتمونا في الدنيا فنحن معكم لا ، يتبرؤون منهم ويلعنوا بعضهم بعضا كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين أي متبرئين من عبادتهم ومتنصلين منهم كما قال الله - عز وجل - : { أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم } لمن كان يعبد الملائكة فمن غيرهم من باب أولى

◆ إذا هاتان الآيتان مناسبتان جدا للترجمة:

▪ في أنه لا يستغاث بغير الله ولا يدعى غير وذلك أن من فعل ذلك فقد وقع في الضلال الميين وكان من جملة الكافرين.

◆ ثم نستفيد منها:-

- - أيضا - أن الدعاء عبادة لأنه قال: { ومن أضل ممن يدعو من دون الله } فالدعاء عبادة لا يجوز صرفها لغير الله - سبحانه وتعالى - وأن من صنفها لغير الله تعالى فقد وقع في الشرك الأكبر
- - أيضا - بيان شدة ضلال المشركين؛ لقوله ومن أضل أي لا أحد أضل
- ومنها - أيضا - أن الشرك بالله أعظم الضلال؛ اي والله
- ومنها - أيضا - إثبات البعث؛ من قوله إذا حشر الناس فلا شك أن البعث آت
- ومنها - أيضا - أن هذه الأوثان والأصنام لا تسمع ولا تستجيب ففيه الرد على المشركين بمختلف أصنافهم والرد على القبوريين الذين يأتون إلى أصحاب القبور يزعمون فيهم الصلاح ويدعونهم من دون الله تعالى يقف أحدهم على قبر رجل صالح أو منسوب إلى الصلاح الله أعلم أي ذلك يقول ثم يقول له يا سيد فلان أنا بحسبك اكشف ضري، اشف مريضى، أجزل رزقى إلى غير ذلك فيدعوه من دون الله هذا الشرك الذي بعث الأنبياء برده وحققه ومع ذلك يزين الشيطان لكثير من هؤلاء المغرورين صنيعهم وسوف يأتينا - إن شاء الله - تعالى في كتاب كشف الشبهات استقصاء لجميع حججهم التي يحتجون بها وأن هذا مناف لأصل الدين وبهذا يتبين أن الدعاء عبادة خالصة لا تجوز لغير الله - سبحانه وتعالى -



◊ وما ساق المصنف - رحمه الله - من الأدلة قوله تعالى: { أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء

ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون }:-

(أم من يجيب المضطر) يعني من هو؟ هذا معنى قوله أم من يجيب المضطر أي من هو والجواب الله سبحانه وبحمده هو الذي يجيب المضطر،

ومن المضطر أي من أصابته الضرورة إما بمرض أو هلكة من غرق أو حرق أو غير ذلك

إذا دعاه يعني حال الدعاء لأن دعوة المضطر دعوة حارة فيجيبها الله - سبحانه وتعالى - وإجابته لدعوة المضطر دالة على إثبات وجوده وربوبيته سبحانه

(ويكشف السوء) يعني يكشف أي نوع من أنواع السوء فهو يجيب المضطر ويكشف السوء فيدفع القادم ويرفع الواقع

(ويجعلك خلفاء الأرض) معنى يجعلكم خلفاء الأرض أي يخلف بعضكم بعضا في الأرض أي كلما فني جيل خلفه جيل هذا معنى ويجعلكم خلفاء الأرض فلم تزل الأرض ولم تخلو من الناس فكلما مضى جيل أعقبه جيل آخر يخلفونهم فيه

(أإله مع الله) هذا استفهام للإنكار عليهم إذا لما كانوا مقرين لما كانوا المشركون مقرين بأن الله تعالى هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء حتى إنهم إذا ركبوا في الفلك ماذا؟ دعوا الله مخلصين له الدين إذا كنتم مقرين بذلك فحريا بكم أن توحده بالعبادة وألا تدعوا معه إله غيره قال أإله مع الله أي يصنع لكم ذلك يجيب دعوة المضطر منكم ويكشف السوء عنكم وهم مدركون أنه لا. لكنهم يشركون

(قليلا ما تذكرون) أي أن هذا مع علمكم بهذا لا يقع منكم تذكركم كاف وإنما قد تذكرون ذلك فقط في حال

الاضطرار

◊ فمناسبة الآية - أيضا - لترجمة الظاهرة:

▪ لتعلقها بتحريم الدعاء لغير الله والاستغاثة بغير الله

▪ ودلت هذه الآية على بطلان الاستغاثة بغير الله لأن دعوة المضطر هي الاستغاثة،

ولكن المقصود - يارعاكم الله - بالاستغاثة الشركية هي الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله أما الاستغاثة بغير الله فيما يقدر عليه ذلك الغير فإنها جائزة

فلو إنسانا مثلا كان يتخبط في لجة الموج ورأى من يمشى على سيف البحر فقال أغثني أغثني أيعد ذلك شركا؟ هذا ليس شرك لأنه طلب الغوث ممن يملكه وممن يقدر عليه خلقة لو أنه كان مثلا أحاطت به النار ورأى من يمر بجواره ويمكنه أن يطفأ النار فقال الغوث الغوث أغثني هذا ليس شرك، ومما يدل على أن ذلك ليس شركا ما أثبتته الله تعالى في كتابه في قصة موسى عليه السلام قال الله تعالى: { فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه } أي أن الإسرائيلي استغاث بموسى على القبطي الذي كان يضربه فقال أغثني فأغاثه فهذه ليست استغاثة شركية

إذا كيف نعرف الاستغاثة الشركية؟ بالنظر في الحال والقرائن فإذا كان المستغيث يستغيث بغائب بميت بمن لا يقدر ولو كان حيا فهذه استغاثة شركية فلو قال مثلا للطبيب اشفي مريضى معتقدا أن الطبيب بيده الشفاء فهذه استغاثة شركية ولو وقف على قبر فقال يا فلان اكتب رزقي أو اغفر ذنبي فكذلك ما رأيكم في مسألة حادثة!!؟

وليست حادثة ولكن أصلها قديم يقول بعض الناس وقد يأتي مثلا عند صاحب القبر من الصالحين يقول لصاحب القبر يا فلان اشفع لي عند ربك ادعوا الله أن يغفر لي أهذا من الشرك الأكبر أم من البدع المحدثه؟ لا شك أنه بدعة لكن هل يبلغ مبلغ الشرك الأكبر؟

اختلف بعض المعاصرين في هذه المسألة: فقال بعضهم إنها بدعة مغلظة لكنها لا تبلغ الشرك الأكبر لأنه لم يدعه وإنما طلب منه أن يشفع له عند الله

ولكن الصحيح أن هذا شرك أكبر لأنه دعا ميتا تعلق قلبه بمن لا يقدر وأعرض عن دعاء الله وحده فيجب أن يسد الباب ويعظم وألا يفسح لأي لون من ألوان التدسس الشركي أن يفسد قلوب الموحدين

- بقي من فوائده هذه الآية أم من يجيب المضطر إذا دعاه :-

- إذا قلنا بطلان الاستغاثة بغير الله تعالى

- - أيضا - إقرار المشركين بتوحيد الربوبية؛ لأن الله استدل عليهم بذلك
- ونستفيد ثالثا أن الإقرار بتوحيد الربوبية لا ينجي صاحبه من الشرك لا بد من توحيد الألوهية توحيد العبادة وإلا لو كان توحيد الربوبية كافيا لما احتيج إلى دعوتهم لأنهم كانوا مقرين بأن الله هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء .

▪ وفيها من أساليب الدعوة الاحتجاج بالمتفق عليه على المختلف فيه فالمشركون موافقون لنا بأن الله تعالى هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ولكنهم يخالفوننا في توحيد العبادة فنقول لهم كما أنكم قد أقررتم بتوحيد الربوبية فإنه يلزمكم أن تقرروا بتوحيد الألوهية

ثم اعلموا قبل أن نغادر هذا أن دعاء الله تعالى نوعان:-

(دعاء عبادة، ودعاء مسألة) كلاهما دعاء .

- فأما دعاء العبادة: فهو مناجاة الله - سبحانه وتعالى - بما يليق به من أسماءه الحسنى وصفاته العلى والثناء بها عليه كأن يقول القائل اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت فاطر السماوات والأرض ومن فيهن اللهم لك الحمد أنت الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد يتملق ربه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى هل طلب شيئاً؟ لم يطلب شيئاً هذا يسمى دعاء عبادة يعني التعبد لله - عز وجل - بذكره بما يليق به من صفات الجمال ونعوت الجلال ولا شك أن هذه عبادة جليلة وقربة عظيمة أن يثني العبد على ربه بما هو أهله مما علمنا إياها وعلمنا نبيه ﷺ

- النوع الثاني: من الدعاء هو دعاء المسألة؛ وهو الغالب عند الناس أن يطلب العبد حاجة من ربه لطلب مصلحة أو لدفع مضرة فيقول ارزقني عافني اشفني انصرني أجبرني ونحو ذلك هذا يسمى دعاء مسألة، وهذا كثير واللائق بهذا النوع من الدعاء أن ينتخب الداعي له أن ينتخب له اسماً مناسباً فيقول يا رزاق ارزقني، يا جبار أجبرني وهكذا فيأتي بالاسم المناسب للطلب المناسب

وما العلاقة بين النوعين دعاء العبادة ودعاء المسألة؟

دعاء العبادة يستلزم دعاء المسألة، ودعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة هذا وجه العلاقة بين النوعين دعاء العبادة يستلزم دعاء المسألة يعني من أقر الله بدعاء العبادة فإن من لوازم ذلك أن يفرد بدعاء المسألة فهذا من لازمه قال إبراهيم: { وأدعوربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقياً } واعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب لأنه لما وحد الله بالعبادة وحده بالدعاء أن يهب له فوهب له إسحاق ويعقوب، دعاء المسألة متضمناً لدعاء العبادة لأنه لو لم يكن معتقداً بأن الله هو الذي يجيب الدعوات لما دعاه فهذا دليل على أن دعاء المسألة

متضمننا لدعاء العبادة، واعلموا يا رعاكم الله أنه ليس شيئاً أكرم على الله من الدعاء كما في الحديث ليس شيئاً أكرم على الله من الدعاء

- وفي الحديث - أيضا - من لم يسأل الله يغضب عليه؛ وقد نظم الناظم في ذلك قوله:

الرب يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب

أليس كذلك إي والله الآدمي إذا طلبت منه شيء مرة مرتين تبرم وتضايق منك وقال أزعجتنا أفلقتنا يتضايق ابن آدم من الدعاء من الطلب والسؤال، أما الرب سبحانه وبحمده فإنه إذا لم يدعه العبد غضب عليه فقد جاء في الحديث من لم يسأل الله يغضب عليه،

ثم اعلموا - يارعاكم الله - أن أي دعوة لا ترد فقد جاء في الحديث أنه ما من عبد يدعو الله في الأرض بدعوة إلا أعطاه بها إحدى ثلاث خصال ما يضيع على الله الدعاء أبدا ما من عبد يدعو الله في الأرض بدعوة إلا أعطاه بها إحدى ثلاث خصال إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدفع عنه من الشر مثلها، وإما أن يدخرها له أحوج ما يكون إليه فلا تترك الدعاء وقد جاء في الحديث (( يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فليل: يا رسول الله وكيف يعجل؟ قال يقول دعوت دعوت ولم يستجب لي )) وما أكثر ما تسمع ممن يقول لي سبع سنين وأنا أدعو الله - عز وجل - ولا صار شيء فينبغي أن نعلم - أيها الإخوان - أن الله - سبحانه وتعالى - سميع الدعاء لكنه قد يؤخر الإجابة لحكمة ولمصلحة الداعي فينبغي للعبد أن يحسن الظن بربه .

و لا يتسع الوقت لشرح الحديث المتبقي نرجئه إلى الغد لكننا:

نختم بالقول بعظم هذه العبادة الجليلة وهي عبادة الدعاء

وينبغي للعبد المؤمن أن يخصص من يومه أوقاتا يقبل على الله - سبحانه وتعالى - بكليته ويدعوه لا شك أن الصلاة متضمنة لأدعية وأوراد الصباح والمساء كذلك لكن ينبغي لك يا عبد الله أن تعود نفسك على أن يكون الدعاء وجبة يومية لا تحفي يومك من دعاء الخالص المتضرع لأنه عين العبودية لله - سبحانه وتعالى -

وكم من دعوة كتب الله بها للعبد سعادة الدارين تكتب له السعادة في الدنيا والآخرة بفضل دعوة أطلقها، وعلى العبد - أيضا - أن يتحرى مواطن الدعاء

فإن للدعاء أسباب للإجابة بعضها زمانية وبعضها مكانية وبعضها تتعلق بالهيئات

فمن مواضع إجابة الدعاء الزمانية ثلث الليل الآخر فقد جاء في الحديث أن الله تعالى ينزل ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجب له من يسألني فأعطيه من يستغفري فأغفر له وذلك كل ليلة

أين نحن من هذه العروض المغربية؟ لو وضع الناس دعايات لتخفيضات لبعض السلع والبضائع لرأيتهم يذهبون زرافات ووحداً لينالوا لعاعة من الدنيا وربنا كل ليلة يقول من يدعوني فاستجب له من يسألني فأعطيه من يستغفري فأغفر له،

ومن ذلك - أيضا - ساعة الجمعة فإنها ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها مسألة إلا أعطاه إياها وقد قيل إنها من دخول الخطيب يوم الجمعة إلى انقضاء الصلاة وهذا أرجح القولين وقيل إنها آخر ساعة بعد العصر ومن جمع بينهما فقد أصاب خيرا - إن شاء الله -،

ومن المواضع التي يستحب فيها الدعاء أن يكون الإنسان في بيت الله الحرام قريبا من الكعبة المشرفة

ومن الأحوال الشريفة التي يرجى فيها الإجابة أن يكون العبد ساجدا فإنه أقرب ما يكون العبد من الله وهو ساجد ولذا قال نبينا ﷺ (( فأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فأكثروا فيه من الدعاء فقمنا أن يستجاب لكم ))

ما معنى قمنن؟ أي حري كذلك ينبغي للداعي أن يتأدب بما أمره الله تعالى به قال ربنا - عز وجل - : { ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين } ، { ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين }

فمن أتقن فن الدعاء واطّرح بين يدي مولاه، وخضع له، وشعر بعبوديته له سبحانه فإن الله - سبحانه وتعالى - قريب منه: { وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون } ولذا قال عمر أنا لا أحمل هم الإجابة ولكني أحمل هم الدعاء فإذا ألهمت الدعاء ألهمت الإجابة

نسأل الله أن يتقبل منا ومنكم، وصلى الله على نبينا محمد؛